آداب الرافدين – العدد (55)
1429هـ/2008م

في سورة الشرح: دراسة بلاغية

احمد محمود عزو صالح* و أ.م.د. عبدالله فتحي الظاهر **

تاريخ التقديم: 2008/5/26 تاريخ القبول: 2008/7/30

سورة الشرح سورة مكية بالاتفاق وعدد آياتها ثمان سُمِّيت في معظم التفاسير وفي صحيح البخاري وجامع الترمذي بسورة ((ألم نشرح)) وسميت في بعض التفاسير سورة "الشرح" ومثله في بعض المصاحف المشرقية تسمية بمصدر الفعل الواقع فيها من قوله تعالى "ألم نشرح لك صدرك" وفي تفاسير أخرى "سورة الانشراح" وقد عُدَّت الثانية عشرة في عداد السور. نزلت بعد سورة "الضحى" بالاتفاق وقبل سورة "العصر"[(1)].

ثلاث منن أخرى بعد المنن الثلاث في سورة "الضحى" لذلك عَدّهما بعضهم (الضُّحى والشَّرح) كالسورة الواحدة، قال تعالى ((أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى(6) وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى(7) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى(8))) [الضّحى: ٦–٨] والمنن في سورة الشرح التي امتنّها الله على رسوله بتقريره بها (الأولى) "بشرح الصدر ليتسع للوحي ولما سيلقاه من قومه من سيّء القول وباطل الكلام الذي يضيق به الصدر، ولم يعد له متنفّس عندما يضيق. "والثانية" وضع الوزر عنه (ﷺ) وإن لم يكن له وزر حقيقة، لكنه يشعر بحمل ثقيل من جراء ترك العبادة والتقرب إلى الله في عمره الذي سبق نزول الوحي عليه، إذ عاش أربعين سنة لم يعرف فيها عبادة ولا طاعة".

---

* بكالوريوس في اللغة عربية/ كلية التربية/ جامعة الموصل.
** قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

(1) تفسير التحرير والتنوير/ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، (د.ت)، 207/30.

"فالأكثرون قالوا: بأن الشرح معنوي وهو إما نقيض العطن، بحيث لا يتأذى من كل مكروه، وإيحاش يلحقه من كفار قومه، فيتسع لأعباء الرسالة كلها ولا يتضجر من علائق الدنيا بأسرها، وأما خلاف الضلال والعَمَهْ حتى لا يرى إلا الحق، ولا ينطق إلا بالحق، ولا يفعل إلا للحق، قال المحققون: ليس للشيطان إلى القلب سبيل ولهذا لم يقل "ألم نشرح قلبك" وإنما يجيء الشيطان إلى الصدر الذي هو حصن القلب فيبث فيه هموم الدنيا والحرص على الزخارف، فيضيق القلب، لا يجد للطاعة لذة، ولا للإيمان حلاوة، ولا للإسلام طراوة[1]".

و ((الثالثة)) رفع الذكر حيث قرن تعالى اسم نبيّه باسمه، في التشهد، والأذان، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى وفي خطبة النكاح، وفي مشارق الأرض ومغاربها، وذلك الدهر كله وما بقيت الحياة[2].

توحي هذه السورة بأن هناك ضائقة كانت في صدر الرسول (ﷺ)، فكان شرح الصدر ووضع الوزر، ورفع الذكر علاجاً شافياً لذلك تفضل به عليه ربّه عزّ وجل، فكان إتباع الناس له واضحاً لأنه أشرحهم صدراً، و أوضعهم وزراً، وارفعهم ذكراً، فقويت متابعته (عليه الصلاة والسلام) بالعلم والعمل والجهاد لينصب ذلك في مجابهة الواقع المثقل بهموم إصلاح أحوال أهله وأبناء عشيرته، حيث تنامت همومه برغبات ملحة في شخصيته الكريمة بضرورة الإصلاح، تجلى ذلك بتفكر وبتدبر جعل الجديّة أهم وسيلة للبحث عن الإصلاح بمنهاج يسير عليه إرضاءً لخالقه الذي ابتلاه.

وروي أنهم قالوا: يا رسول الله أينشرح الصدر؟ قال: نعم وينفسح قالوا: وما علامة ذلك؟ قال: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإعداد للموت قبل نزوله، فقد مُلِيَء صَدْرُهُ حِكَماً وعِلماً، وقيل إنه انفتح حتى كان يتسّع

---

(1) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسن النيسابوري، (ت 728هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ – 1996م، 522/6.

(2) ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن احمد حبنّكه الميداني، دار القلم، دمشق، ط1، 1420هـ – 2000م، 587/1.

لجميع المهمات، لا يقلق ولا يضجر ولا يتغير بل هو في حالتي البؤس والفرح منشرح الصدر[1].

كانت رسالته للإنسانية أجمع في قوله تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)) [الأنبياء: ١٠٧] وكان (عليه الصلاة والسلام) المنذر والمبلّغ والقدوة، وتعدّى ذلك إلى ربط محبة الله بإتباعه بقوله تعالى: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [آل عمران: ٣١].

ونحن بنظرة تحليلية شاملة للظواهر البلاغية في نسيج هذه السورة بوصفها لوحة كاملة متكاملة بنسيج رائع يجذب القارئ لمعرفة الأفكار والمعاني التي تضمنتها وتقبل ذلك بحيوية وقوة تأثير في المتلقي في آن واحد لمناحي الفن والجمال في بنية هذه السورة التي نزلت على صدر رسول الله (ﷺ) لشرحه ورفع الوزر عنه وتبشيره باليسر الذي يزيل العسر مهما بلغ، وتصويرها لحاله بتحمل المشقة والبلاء والإيذاء فإعانة الله هي المنقذ والداعم لضمان النجاح وتحقيق الهدف.

تحليل السورة بلاغياً

سنعمد قبل تحليل السورة بلاغياً على إيراد نصها الكريم أولاً، وتحديد الظواهر البلاغية فيه ثانياً، ومن ثم توزيعها إلى علومها الثلاثة "المعاني والبيان والبديع" التي تشكل لحمة البلاغة وسداها، ونوضح النسيج المترابط والمحكم في ألفاظها ومعانيها على نحو معجز في الفن والجمال.

بسم الله الرحمن الرحيم

((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ(1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ(2) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ(3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ(4) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ(7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ(8))) [الشرح: ١ – ٨]

(1) ينظر الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العالمية، بيروت – لبنان، ط1، 1408هـ – 1988م، 70/20.

أ. المعانـــي:

1. الاستفهام التقريري للامتنان والتذكير بنعم الله الرحمن في ((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)).
2. بلاغة الوصل المتحققة بواو العاطفة بين الآيتين ((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ)) وبين ((الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)) و ((فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)).
3. الإطناب للإبهام المحرك للشوق تمثل في زيادة ((لك)) و ((عنك)) في الآيتين ((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ))، وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة.
4. التنكير للتخفيم والتعظيم في ((إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)) نكر اليسر للتعظيم كأنه قال: يسراً عظيماً.
5. الإطناب بتكرير الآية ((فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)) لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب.
6. التقديم والتأخير في قوله تعالى ((وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)) لإفادة الاختصاص إليه لا إلى غيره.

ب. البيـــان:

1. المجاز المفرد بالاستعارة لإيضاح أمر يجهله المخاطب، بذكر شيء آخر كان وقعه في النفس أشد ومنزلته في البلاغة أعلى في قوله تعالى ((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)).
2. الكناية عن الإنعام عليه في ((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)).
3. الاستعارة التمثيلية في ((وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ)) شبّه الذنوب بحمل ثقيل يرهق كاهل الإنسان ويعجز عن حمله بطريقة الاستعارة التمثيلية.
4. المجاز العقلي من خلال إسناد ((أنقض)) إلى الوزر في ((وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ)).

5. الكناية الرمزية بتعدد اللوازم، فكان التعبير غير المباشر بذكر الكلام، قصد به لوازمه الفكرية في ((فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)).
6. الأستعارة في ((وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)).

ج. البديـــع:

التورية في فعل (وضعنا) بذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان أحدهما قريب، دلالة اللفظ عليه ظاهرةً، والبعيد دلالة اللفظ عليه خفية.

1. السَّجْعُ المرصَّع في فواصل الآيات (صدرك، وزرك، ظهرك، ذكرك)، وتكرر السَّجْعُ في الآيتين ((فآنصب، فآرغب)).
2. الجناس غير التام بين لفظ ((العسر))((اليسر)).

((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ))

الشرح (بسط اللحم ونحوه، يقال شرحت اللحم وشرحته، ومنه شرح الصدر أي بسطه بنور الهي وسكينة من جهة الله وروح منه) ((قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي)) [طه: ٢٥]. و ((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)) وشرح المشكل من الكلام بسطه وإظهار ما يخفى من معانيه[(1)].

وقيل معنى شرح الصدر: هو توسيعه للمعرفة والإيمان ومعرفة الحق وجعل قلبه الوعاء الذي يحتوي الحكمة بمعناها القرآني في قوله تعالى ((يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ)) [البقرة: ٢٦٩]، وقوله تعالى ((شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ)) [الزمر: ٢٢].

لقد شهد القرآن بأن الشرح هو الانشراح والارتياح بل الاطمئنان كنتيجة حتمية لاستقرار الإيمان والمعرفة وشرح الصدر يقابل به كل الصعاب وأنواع الابتلاء وبه يبدأ لأهميته، فبين تعالى أن من دواعي انشراح الصدر وإنارته ما

---

(1) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط 5، 1428هـ – 2007م، 261.

يتكون فيه من رفقة وحكمة وتيسير يساعد في تلقي تلك الأنوار الإلهية بوحيٍ لقوله تعالى ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ)) [الأعراف: ١٩٩].

وأختص الانشراح بالصدر لما له من أهمية في استقرار الإيمان ودفع حظ الشيطان كما في قوله تعالى ((الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ)) [الناس: ٥]، ففي ذلك علاج ورد لمكايد الشيطان وما يخلقه من الوسوسة للحيلولة دون ذكر الله والتجمل بالصبر لتحمل أذى المشركين بمكة وعلى مخادعة المنافقين في المدينة، (ألم) إنشاء طلبي فهمزة الاستفهام لطلب التصديق وإدراك وقوع نسبة تامة من المسند والمسند إليه أو عدم وقوعها بمعنى إدراك موافقتها لما في الواقع أو عدم موافقتها له، يكثر التصديق في الجمل الفعلية ويقل في الجمل الاسمية، وقد ترد أيضا للتصور بالنسبة للمفرد [(1)]، فالاستفهام التقريري ورد لتقرير الإثبات، فقوله تعالى (ألم نشرح) بمعنى قد شرحنا، فهنا حمل على نون التعظيم لأن عظمة المنعم تدل على عظمة النعمة، ولم يقل ((ألم أشرح)) بصفة المفرد، وإنما على نون الجمع تعظيماً لهذه النعمة.

فمعنى ذلك كأنه تعالى يقول لم أشرحه وحدي بل أعملتُ ملائكتي بهذا الشرح، وأنت ترى الملائكة حواليك وبين يديك ليقوى قلبك، ونشرت دعوتك لهداية الناس لرسالة كلفت بها وأنت منشرح الصدر بعد ضيقه، والسؤال (لِمَ قال: (ألم نشرح لك صدرك) ولم يقل ألم أشرح صدرك؟ (والجواب) من وجهين (أحدهما) كأنه تعالى يقول لام بلام، فأنت إنما تفعل جميع الطاعات لأجلي، كما قال (ليعبدون، أقم الصلاة لذكري) فأنا أيضاً جميع ما أفعله لأجلك، و (ثانيها) أن فيها تنبيهاًَ على أن منافع الرسالة عائدة إليه (عليه الصلاة والسلام). كأنه تعالى قال: أنما شرحنا صدرك لأجلك لا لأجلي) [(2)]، فكان التحقيق في سورة الاستفهام وتبنّيه لمخاطَب وحثّ له على تدبر الأمر.

---

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط12، (د.ت)، 87.

(2) التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط4، 1422هـ – 2001م، 206/30.

إن إطلاق الشرح حقيقة عبر عنه بالمجاز الذي يساوي الحقيقة لأن الظاهر أن الشرح الحقيقي خاص بشرح اللحم، وان إطلاق الشرح على رضا النفس بالحال أصله استعارة نشأت عن إطلاق لفظ الضيق وما نجم عنه على أساس حزين بئيس، فجعل إزالة ما في النفس مثل شرح اللحم(1).

فالمصدر (الشرح) مراد به الإحساس الباطني الجامع لمعنى العقل والإدراك وشرحه كناية الإنعام عليه بما تطمح إليه نفسه الزكية من الكمالات وإعلامه برضا الله عنه وبشارته بما سيحصل من نصر للدين (2)، فقد حمل (ﷺ) راية هذا الدين عالية دون هم وغم بنفس طويل إيجابي.

وكان الوصل واضحاً في قوله تعالى ((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ)) (وبلاغة الوصل لا تتحقق إلا بـ "الواو" العاطفة فقط، دون بقية حروف العطف لأن "الواو" لا تفيد إلا مجرد الربط وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم، بخلاف العطف بغيرها فإنه يفيد التشريك مع معنى أخر، كالترتيب والتعقيب في "الفاء" وكالترتيب مع التراخي في "ثم" فالواو هي الأداة التي تخفي الحاجة إليها، ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم ودقة في الإدراك، بخلاف العطف بغيرها حيث يفيد مع التشريك معاني أخرى كالترتيب مع التعقيب في "الفاء" وكالترتيب مع التراخي في "ثم" وهكذا باقي حروف العطف)(3).

ومن الإطناب للإبهام المحرّك للشوق الذي يتبعه الإيضاح المؤكد للفكرة والمثبت لها كلمة "لك" وهي زيادة في الآية لفائدة، إذ المساواة تقتضي أن يقال "الم نشرح صدرك" وقال البلاغيون هذه الزيادة في هذه الجملة وغيرها تفيد الإبهام أولاً فيتولد استشراف في النفس للإيضاح والتشوق.

وتأتي عبارات "صدرك – ووزرك – ذكرك" لترفع الإبهام وليرتوي ظمأ النفس لحصول المعرفة بعد إثارة التشويق لتثبت بعدها المعرفة، واستعمال ضمير

---

(1) ينظر التحرير والتنوير، 408/30.

(2) المصدر نفسه، 408/30.

(3) جواهر البلاغة، المعاني، البيان، البديع/ 198.

المتكلم "ضمير الجماعة" على الرغم من أن المتكلم هو الله الواحد الأحد في "نشرح" للإشعار بأن في ذلك منناً أمتنّها الله على رسوله لتناسب عظمة واهبها، وللأطماع في تحقيق المنن الموعود بها.

((وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ))

"الوضع أعم من الحطّ ومنه الموضع: قال تعالى ((يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)) [النساء: ٤٦]، ويقال في الحَمْلِ والحِمْلِ، ويقال وضعت الحمل، فهو موضوع"[1] والوزر "وزر: الوزر: الملجأ الذي يلتجأ إليه من الجبل والوزر الثقل تشبيها بوزر الجبل ويعبر بذلك عن الإثم كما يعبر عنه بالثقل، قال تعالى ((لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً)) [النحل: ٢٥]، وقوله تعالى ((وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ)) [الشرح: ٢]، "أي ما كنت فيه من أمر الجاهلية فأعفيت بما خصصت به عن تعاطي ما كان عليه قومك"[2].

وقوله تعالى ((وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ)) [الأنعام: ٣١]، فكان المجاز والتوسع والتشبيه في هذه الآية بمن يحمل ثقلاً على الظهر وقوله (ﷺ) ((... ومن سنّ في الإسلام سُنّةً سيّئةً فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء))[3].

وقال ابو حيّان (هو كناية عن عصمته (ﷺ) من الذنوب وتطهيره من الارجاس)[4] فكلام أبن حيّان يدل على العصمة، ومهما يكن من شيء فإن عصمته من الصغائر والكبائر بعد البعثة، أما قبل البعثة فهو معصوم عنها، وشَرْحُ صَدْرُهُ وَنَزْعُ حظِّ الشيطان منه دليل على ذلك، قال مجاهد ونحوه قال الطبري وسفيان الثوري بأن الله قد غفر ذنوبه قبل الرسالة وما تأخر أي بعدها لكنه (ﷺ) لم يقترف الكبائر أبداً، والقول في الصغائر دائرة بين الجواز والمنع، فإن كانت جائزة ووقعت فهي لا تمس مقامه (عليه الصلاة والسلام) لوقوعها قبل البعثة

---

(1) المفردات في غريب القرآن، 540.

(2) المصدر نفسه، 536.

(3) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، 564/2.

(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 77/1.

والتكليف، فقد غفرت ذنوبه وحط عنه ثقلها وإن لم تقع ولم تكن جائزة في حقه فهذا هو المطلوب[1].

وفي الآية ((وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ)) إطناب، والإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، ولقد وقف العلماء وقفة تأمل أمام نظم الآية باحثين عن أسباب الزيادة وعما تؤدي من أغراض بيانيّة منها الإيضاح بعد الإبهام، وللإيضاح بعد الإبهام أثر في النفس [2]، (ولم يقل: وضعنا لك وزرك، للاستغناء بقوله: (عنك) فإنه في إفادة الإبهام ثم التفصيل مساو لكلمة (لك) وهي في إفادة العناية به تساوي كلمة (لك) لأن فعل الوضع المعدّى إلى الوزر يدل على أن الوضع عنه فكانت الزيادة (عنك) إطناباً يشير إلى ذلك عناية به نظير قوله: (لك) الذي قبله، فحصل بذكر (عنك) إيفاء إلى تّعدية فعل (وضعنا) مع الإيفاء بحق الإبهام ثم البيان[3]).

وتحقق الوصل بعطف هذه الآية ((وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ)) على ((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)) قال علماء البلاغة على الوصل بالواو بأنه أصعب أبواب البلاغة إذ لايضع كل واحد منها موضعه إلا من أُولي في فهم كلام العرب فهما سليما وأعطي في إدراك أسراره حظاً وافراً، وهي أعظم أبوابها وأشكل أركانها وبها يعرف حسن اللفظ والمعاني من عدمه [4]، فتميز كلام الله وهو الأفضل لما وجد فيه من حسن وفن وجمال وعذوبة في التعبير وورد ضمير المتكلم (نا) في "ووضعنا" لعظمة المتكلم وما تركه من وقع عظيم في النفوس وهو يمثّل ضمير الجماعة مع أن المتكلم واحد أحد في "نشرح – ووضعنا – ورفعنا".

---

(1) ينظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 77/1.

(2) ينظر البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، د.فضل علي عباس، دار الفرقان، عمان – الأردن، ط1، 1405هـ – 1985م، 373.

(3) التحرير والتنوير، 364/30.

(4) ينظر الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ركن الدين محمد بن علي الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1423هـ – 2002م، 101.

((الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ))

"أنقض" أي كسره حتى صار له نقيض، ونقيض المفاصل صوتها، وأهل اللغة يقولون أنقض الحمل ظهر الناقة: إذا سمعت له صريرا من شدة الحمل، وكذلك سمعت نقيض الرحيل، أي صريره، فالوزر الحمل الثقيل، ووصفت ذنوب الأنبياء مع كونها مغفورة لشدة اهتمامهم بها وندمهم منها وتحسرهم عليها، فإذا ذكروا ذنوبهم أشتد غمهم وبكاؤهم فوصفت بالثقل والنقض: صوت الأضلاع(1).

كان (ﷺ) ينوء بحمل ثقيل على كاهله لكنه زاده عزيمةً وإصراراً على التضحية لينجز عهد الله الذي أفترضه عليه بعد ضمان سلامته وان النصر قادم لا محالة، كان صادق الوعد، مؤتمناً، مخلصاً بين أبناء عشيرته وسموه "الصادق الأمين" واتجهت الأنظار نحوه على الرغم من انه كان يقف بصلابة وبقوة ضد معتقدهم فاحتقر أصنامهم.

وإسناد الفعل "أنقض" إلى الوزر مجاز عقلي (حيث لا يكون في الكلمة نفسها، فالكلمة لم تخرج فيه عن وضعها اللغوي، إنما يكون في الإسناد، فهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له) (2)،وتعديته إلى الظهر تبع لتشبيه المشقة بالحمل، وهو تمثيل بديع لأنه تشبيه مركب قابل لتفريق التشبيه على أجزائه، وفي الكلام استعارة تمثيلية فقد شبه الوزر والذنوب بحمل ثقيل يرهق كاهل الإنسان واستعمل في غير معناه الحقيقي، وإن العلاقة بين معناه المجازي ومعناه الحقيقي هي المشابهة في قوله تعالى ((وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ)) (لابد أن يكون كل من المشبّه والمشبّه به في الاستعارة التمثيلية صورة منتزعة من متعدد)(3)، فالمشبّه الذنوب بالحمل الثقيل الذي ينقض الظهر.

وكان للسَّجْعِ اثر واضح في فواصل الآيات التي تضمنت (ظهرك – ذكرك) وبما أن السَّجْع توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأن أفضله ما تساوت

(1) ينظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 77.0/1

(2) البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، د.فضل علي عباس، دار الفرقان، عمان – الأردن، ط1، 1407هـ – 1987م، 139.

(3) البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، 126.

فقره، ليكون حليةً ظاهرة في الكلام بحيث لا تجد لبليغ كلاماً يخلو منه، وأبدعه ما جاء في القرآن وإن قصرت سورُهُ وربما وقع في أوساط الآيات، وتسمى الكلمة الأخيرة من كل فقرة فاصلة وتسكن الفاصلة دائما في النثر للوقف، ولا يحسن السَّجْعُ إلا إذا كان رصين التركيب، سليماً من التكلف، خالياً من التكرار في غير فائدة[1].

وتبيّن الفصلُ واضحاً في الآيتين ((وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ)) وهو شبه كمال الاتصال لأن الآية الثانية جاءت بياناً للأولى، فوضحت كيفية الوزر وحصل امتزاج معنوي بينهما، والسّجْعُ المتوازي حاصل بين الكلمتين الأخيرتين من السجعتين إذ اتفقتا في الوزن وفي الحرف الأخير فيها ويعد هذا من المحسنات الجمالية اللفظية عند البلاغيين، إذ يجعل الكلام سهلاً متميزاً بالحسن والجمال[2].

إن قوة الأسلوب وخلوه من التكلف، يجعل الكلام سهلاً مؤثراً، وفي كلام الله ما حسن لفظه، وأبتُدِع في نَظْمه، فأخذ علماء البلاغة يقيسون ذلك بالنثر الذي يرد في معظمه السَّجْعُ خاصة عندما يشتمل التشبيهات الرائعة في سهولته، وخلوه من التكرار.

فكلام الله تعالى حَسُنَ فيه الجناس والتركيب (وهي تمثل سلاسة بناء الآيات القصار في هذه السورة وتتابعها بانسياب سهل على اللسان، لين في السمع، مؤثر في النفوس) [3]، فورد الجناس غير التام لاختلاف الكلمتين ((وزرك – ظهرك)) في أنواع الحروف.

والعلاقة بين المعنيين تشير إلى التقارب بأن الثقل والحمل يختص به الظهر، ولا يحسن السَّجْعُ إلا إذا كانت المفردات رشيقة، فالألفاظ خدم المعاني،

---

(1) ينظر المصدر نفسه، 359.

(2) ينظر معارج التفكير ودقائق التدبر، 602/1.

(3) المصدر نفسه، 602/1.

والسَّجْعُ المتوازي ورد في الكلمات الأخيرة للآيات الأربع الأولى (صدرك – وزرك – ظهرك – ذكرك).

((وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ))

(روى مجاهد وقتادة ومحمد بن كعب الضحاك والحسن وغيرهم أنهم قالوا في ذلك حديث (لا أُذكَرُ إلا ذُكِرتَ مَعي) وفيه حديث مرفوع، أبو يعلي وأبن جرير وأبن المنذر وأبن أبي حاتم وابن مردويه وأبو النعيم في الدلائل عن أبي سعيد الخدري (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) قال: إن ربك يقول: أتدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله تعالى أعلم، قال: (إذا ذُكِرتُ ذُكِرتَ معي))[1].

تكريم وثناء في رفع ذكره (عليه الصلاة والسلام) في الملأ الأعلى حيث قَرَنَ اسم نبيه باسمه تعالى في كلمة التوحيد (لا اله إلا الله محمد رسول الله)، وذكره بين الناس بصفات الكمال وأثنى عليه كثيرا في القرآن الكريم، تبعه في الهام الناس ومعرفتهم بما جبله الله عليه من المحامد ومكارم الأخلاق بقوله (ﷺ) (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [2]. أحبّهُ الله واختصّهُ بما يجعله ينفرد عن غيره من الأنبياء والمرسلين، وورد في كتبهم بالتبشير له بين صفوف الأمم التي بعثوا فيها، وربط الله تعالى طاعته بطاعة رسوله بقوله ((مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)) [النساء: ٨٠]، فلو أن رجلاً صدّقَ بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد أنّ محمداً رسول الله، لم ينتفع بشيء وكان كافراً.

ثمة نلحظ الوصل بواو العطف بقوله تعالى ((الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)) والقول في ذكر كلمة (لك) مع (ورفعنا) كالقول في نظيرها ((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)) ففيها زيادة كلمة (لك) والمساواة تقتضي أن يقال: ورفعنا ذكرك[3]، فالإطناب توضيح بزيادة اللفظ على المعنى لفائدة وكيف لا يكون ذلك وكلام رب العالمين عربي من حيث الأسلوب، ومن حيث النظم، فكانت الدقة في اختيار الألفاظ، فهو نهاية البلاغة وأعلى طبقات البيان، وارفعها عمودا وأكثرها

---

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق بن علي القنّوجي، دار إحياء التراث الإسلامي، دولة قطر، 1410هـ – 1989م، 292/15.

(2) رواه البيهقي في السنن الكبرى، 192/10.

(3) ينظر معارج التفكير ودقائق التدبير، 192/10.

مدادا وفيه أسس الظواهر البلاغية بحق ومنه أخذ البلاغيون وعلماء اللغة، فهو المنهل والمرجع في كل ذلك(1).

وفي عطف الجملة على الجملة بجامع ما، لابد هناك من رعاية الملاءمة والمناسبة في تقديم بعضها على بعض لئلا يخلو التنزيل عن أسرار معنوية، ودقائق بلاغية في الآيات القرآنية، يتفطن إليها أهل البراعة والبلاغة، ويقصر عن إدراكها من لا حظوة له في معرفة هذه الصناعة البارعة ولابد من أن يكون لتقديم المعطوف عليه على المعطوف وجهٌ يسوّغه، وإلا كان كلاما لغوا مفرطاً خالياً من ابسط الجوانب البلاغية(2).

وعطف (وضعنا) و (رفعنا) بصيغة المُضي على الفعل (نشرح) بصيغة المضارع لأن (لم) قلبت زمن الحال إلى المُضي، فعطف عليه الفعلان بصيغة المُضي لأنهما داخلان في حيز التقرير، فلما لم يقترن بهما الحرف(لم) صّير بهما إلى ما تفيده (لم) من معنى المضي(3).

ونجد في ((وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)) زيادة كلمة "لك" والمساواة تقتضي أن يقال ورفعنا ذكرك كما جاء في ((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)) فتتشوق النفس للإيضاح والتفسير، فتكون المعرفة ثابتة بالتأكيد مع ما في "لك" من تأكيد وتمكين وإشعار بالتخصيص والتمييز، (لكن دخول التأكيد في الكلام ليس أمراً حتماً، وإنما يكون وروده على وجهين (احدهما) أن يكون المعنى معلوما في النفس لا يقع فيه شك، و(ثانيهما) أن يكون غير معلوم أو مشكوكا فيه، وما هذا حالهُ، فالأولى تأكيده لإزالة احتماله، ثم التأكيد في الضمائر بالإضافة إلى الاتصال والانفصال على أوجه)(4)، ثم انطبق هنا تأكيد المتصل بمثله في الاتصال (لك ذكرك).

(1) البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، 373.

(2) ينظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 311/3، (د.ت)، 146.

(3) التحرير والتنوير، 362/30.

(4) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، 145/2

((فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا))

فرح الرسول (ﷺ) واستبشر وقال لأصحابه الكرام ابشروا فقد جاءكم اليسر (لَنْ يَغلِبَ عُسرٌ يُسرين)(1).

قال الفراء والزجاج (العسر المذكور بالألف واللام، وليس هناك معهود سابق فينصرف إلى الحقيقة، فيكون المراد بالعسر في اللفظين شيئاً واحداً، وأما اليسر فإنه مذكور على سبيل التنكير، فكان أحدهما غير الأخر، وزيّف الجرجاني هذا وقال: إذا قال الرجل إن مع الفارس سيفاً، إن مع الفارس سيفاً، يلزم أن يكون هناك فارس واحد ومعه سيفان)(2).

عسر اتبعه يسران، نعمة من الله تعالى ولطف بحال رسوله (عليه الصلاة والسلام) فكانت البشرى على قلبه وما حوى في صدر ضيّق، منحه الله الانشراح والانفتاح وكأنه قال له مع الشدة رخاء، ومع العسر يسر، ومع الضيق فرج، فكان اليسر والفرج مرافقين له (عليه الصلاة والسلام) لتقوى عزيمته بإيمان تحدى الصعاب وتمكن من نشر دعوته بين أبناء عشيرته وأبناء قومه لينقذهم من الظلمات والضلال إلى النور الرباني.

وكان للإطناب حظٌ في تكرير الآية ((فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)) لتقرير معناها في النفوس والتمكين في القلوب، وتمثل الإطناب أيضاً في زيادة اللفظ على المعنى لفائدة بأن العسر زائل لا محالة وأن الفرج وإزالة الهموم واقع لا محالة (وقد تكرر العسر بلفظ المعرفة، وكرر اليسر بلفظ النكرة، ومن عادة العرب إذا ذكرتْ اسماً معرّفاً ثم أعادته، كان الثاني هو الأول، وإذا ذكرت أسماً نكرة ثم أعادته كان الاسم الثاني غير الأول)(3).

والسؤال الذي يرد ما معنى التنكير في اليسر؟ وجوابه: التفخيم، تأكيد جملة إن مع العسر يسراً للأولى، فإن مع العسر يسراً هو تأكيد الحكم الذي

---

(1) أخرجه الحاكم، 825/2، عن الحسن البصري وصححه وقال الذهبي: مرسل وقال الحاكم وقد صحت الرواية عن عمار وعلي رضي الله عنهما، يعني من قولهما، 476/2.

(2) التفسير الكبير، للفخر الرازي، 208/32.

(3) الجدول في إعراب القرآن، محمود صافي، دار الرشيد، دمشق – بيروت، ط3، 357/30.

تضمنه الخبر ومن ثم تحقق بثبوت التحاق اليسر بالعسر عند حصوله، وليكون التأكيد مفيداً لترجيح أثر اليسر على أثر العسر، فكانت صيغة التثنية في قوله (يسرين) كناية رمزية عن التغلب والرجحان، وقد يكنى بها عن التكرير المراد منه التكثير، كما في قوله تعالى ((ثُمَّ ارْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ)) [الملك: ٤]، أي أرجع البصر كثيراً لأن البصر لا ينقلب حسيراً من رجعتين، وكقول العرب لبيك، وسعديك، والتكرار هنا يستلزم قوة الشيء المكرر فكانت القوة لازِمَ لازمِ التثنية، وإذا تعددت اللوازم كانت الكناية رمزية[1]، وكان التعبير غير المباشر بذكر الكلام الذي يقصد به لوازمه الفكرية، بأن الله تكفل لك تذليل العسر وما تلاقيه في دعوتك، دعوة التوحيد.

والفاء فصيحة، تفصح عن كلام مقدر يدل عليه الاستفهام التقريري هنا، إي إذا علمت هذا وتقرر، تعلم أن اليسر مصاحب للعسر، والتنكير للتفخيم والتعظيم، ((إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)) نكر العسر للتعظيم، وكأنه يقول يسراً كبيراً [2]، وجاءت (إنّ) التي تدل في أصل وضعها على التأكيد وأنها تربط الجملة بما قبلها، بحيث لو أسقطت لذهب رونق النّظْم، وأصبح الكلام مفككاً لا ميزة له ولا روح فيه، وله مع التأكيد فوائد وخصائص بحيث تحتاج إلى الشفافية في إدراكها وإلى بصيرة وفطنة، وأول من نبّه على هذه الحقائق عبد القاهر الجرجاني (رحمه الله) ومع أنها تسد مسد الفاء فتربط الجملتين، إلا أنه يستفاد منها في التوكيد[3].

ومن الممكن عدّ الآية (إن مع العسر يسراً) كناية وضعت المعاني في صورة المُحسّات، ولا شك أن هذه خاصية الفنون، فإن المُصوّر إذا رسم لك صورة للأمل أو اليأس بهرك وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحاً ملموساً[4]، وفي السورة الكريمة التعبير غير المباشر بذكر الكلام الذي يقصد به

---

(1) ينظر التحرير والتنوير، 416/30.
(2) ينظر المصدر نفسه، 416/30.
(3) ينظر البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، 93.
(4) ينظر البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، 267.

لوازمه الفكرية في قوله تعالى ((فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)) ويعدّ بحق من أبدع الكنايات.

فهي كناية مبنية على لوازمٍ فكرية متعددة وأن ما تلاقيه من ضيق وهموم وتحديات زائلة بدعم رباني وبتكفل إلهي، وعده بأن النصر لابد أن يتحقق لك، بصبرك على تحمل الأذى وأساليب المكر والخداع[1].

وبرز الجناس غير التام بين لفظ (العسر) و (اليسر) لاختلافهما في واحد من أمور أربعة هي: نوع الحرف، شكلها من حركات وسكنات، عددها، وترتيبها والاختلاف هنا هو في نوع الحرف.

وقال بعضهم "الفاء" للتفريع الذي هو من قبيل تفريع الحكم على الدليل في صورة الاستدلال بالجزئي على الكلي، والتنوين في (يسراً) للنوعية، ولا إشكال في الاستغراق، إذ لا يخلو المرء في حال العسر عن نوع من اليسر، واقله دفع ما هو أعظم مما أصابه عنه، ويجوز أن يكون التنوين للتفخيم أيضاً، ويكون اليسر العظيم المقارن للعسر هو دفع ذلك الأعظم، وما من عسر إلا وعند الله تعالى أعظم منه وأعظم[2].

وكلمة (مع) استعملت استعمالاً غير حقيقي هنا، لأن العسر واليسر نقيضان ومقارنتهما معاًَ مستحيلة، فتعين أن المعيّة مستعارة لقرب حصول اليسر عقب حلول العسر أو ظهور بوادره بقرينة استحالة المعنى الحقيقي للمعيّة، وفي العسر الخاص الذي تعرض له النبي (ﷺ)، يختلف ويتعارض مع ما في قوله تعالى ((سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)) [الطلاق:٧]، كونها آية عامة في سورة الطلاق وأنّ للبعدية فيها مراتب متفاوتة[3].

((فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ))

(1) ينظر معارج التفكير ودقائق التدبير، 602/1.

(2) روح المعاني، شهاب الدين محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1421هـ – 2000م، 544/30.

(3) ينظر التحرير والتنوير، 413/30.

"فَ رَغَ" الفراغُ خِلافُ الشْغل، وَقد فَرَغَ فَراغَاً وَ فُروغَاً وهو فَارِغُ، وقيل فارغاً أي خاليا إلا من ذكر لقوله تعالى ((فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ))، و أفرغت الدلو صببت ما فيه ومنه أستعير ((أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا)) [البقرة: ٢٥٠][1].

"نَصَبَ: نَصْبُ الشيء وَضْعُهُ وضعاً ناتئاً كَنَصْبِ الرُمحِ والبناءِ والحَجَرِ، والنّصيبُ الحِجَارَةُ تُنْصَبُ على الشيء، وجَمْعُهُ نَصائِبُ ونُصُبٌ بقوله تعالى ((وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ)) [المائدة: ٣] "وقد يقال في جمعه أنصاب بقوله تعالى (والأنصاب والأزلام) والنصيب الحظ المنصوب إلى المعين ((فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ))[2]، مطلوب إتباع الدين كي يصرف النفس في خلوتها ليمنع انحرافها،وبخشوع القلب تخشع الجوارح حيث لا تساهم ولا تشارك إلا في عمل الخير والصلاح، وكل ذلك لا يتحقق بدون الاستقامة على الدين الصحيح الذي ارتضاه لنا رب العالمين، وإصرار الرجل القوي في قرارة نفسه بمنع النفس عن هواها ومنع حظّ الشيطان. فيكون مسيطراً عليها لتحقيق مراده وما يتمنى، كلّ هذا يسيطر عليه إيمانُ القلب في صلاح الدنيا والنجاة في الآخرة.

وإذا انتهيت من أمور الدنيا فاتعب نفسك في طلب الآخرة والدعاء، واجعل همك ورغبتك فيما عند الله لتنال رضاه، ليمنحك ما كنت تتمناه بخلق السعادة والرضا في قلوب الذين هم مبتغاه، ليكون جمعك قد تحقق لهم، بتآلف القلوب وتحقيق دعوة الناس إلى دين التوحيد ونبذ ما كانوا يعتقدون به من جهل وضلال[3].

((فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ)) تفريق على ما تقرر من التذكر باللطف والعناية ووعده بتيسير ما هو عسر عليه في طاعته، أعظمها تبليغ الرسالة من دون ملل ولا ضجر، وفراغ الإنسان مجاز في إقحامه وما أن يعمله، ولم يذكر هنا متعلق

(1) ينظر المفردات في غريب القرآن، 179.
(2) ينظر المصدر نفسه، 496.
(3) ينظر صفوة التفسير، محمد علي الصابوني، بيروت – لبنان، ط1، 1406هـ – 1986م، 576/3.

بـ(فرغت)، وسياق الكلام يقتضي أنه لازم أعمال يعملها (ﷺ)، فمعناها إذا أتممت عملاً من مهام الأعمال، فأقبِلْ على عمل آخر، ويعمر أوقاته في أعمال لها شأن عظيم عند من ابتلاه لينال رضاه، وتقديم (فإذا فرغت) على (فانصب) للاهتمام بتعليق العمل عند فراغه، ثم تتعاقب الأعمال. عُدّت هذه الآية من جوامع الكلم القرآنية، لما احتوت عليه من كثرة المعاني.

((وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)) عطف على تفريع الأمر بالشكر على النعم أمر بطلب استمرار نعم الله تعالى عليه بقوله ((لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)) [إبراهيم: ٧]، رغبة طلب حصول محبوب من حبيبه(1).

والأصل أن يعدّى إلى المطلوب منه بنفسه وإلى الشيء المطلوب بـ(في)، أما تعدية الفعل (فارغب) هنا بحرف (إلى) لتضمينه معنى الإقبال والتوجه، شبه ذلك بسير السائر إلى من عنده حاجة، كقوله تعالى في إبراهيم (عليه السلام) ((وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ)) [الصافات: ٩٩]، وتقديم (إلى ربك) على (فارغب) لإفادة التخصيص إليه، لا إلى غيره تكون رغبتك، إن الرسالة وما تضمنته أعظم صفات الخلق فلا يليق بصاحبها أن يرغب غير الله تعالى،وحذف مفعول (ارغب) ليعم كل ما يرغبه النبي (ﷺ)، وهل يرغب إلا في نيل رضا الله وانتشار الدين ونصر المسلمين؟

و "الفاء" في قوله (فانصب) وقوله (فارغب) رابطة للفعل، لأن تقديم المعمول يتضمن معنى الاشتراط والتقييد كما في قوله تعالى ((بَلْ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنْ الشَّاكِرِينَ)) [الزمر: ٦٦]، و ((وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)) عطف على تفريع الأمر بالشكر على النعم، أمرٌ بطلب استمرار نعم الله تعالى والبناء على المطويات غير المصرّح بها في ألفاظ السورة، ولكن يستطيع الفطن اللبيب من إدراكها حتى كأنها مذكورة صراحة، وقد تسمى مثل هذه رمزية على الرغم من كونها ذات عمق في التعبيرات القرآنية.

(1) ينظر التحرير والتنوير، 416/30.

والوصل تحقق بين الآيتين ((فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)) "بوجود "واو" العطف التي ربطت بين جملتين إنشائيتين لاتحادهما في الإنشاء، ولأن المطلوب بهما مما يجب على الرسول (ﷺ) أن يؤديه لخالقه ويختصه به[1]"

وأفضل السَّجْعُ ما تساوت فقره، ولا يحسن السَّجْعُ إلا إذا كان رصينَ التركيب، سليماً من التكلف، خالياً من التكرار في غير فائدة [2]، والكلمتان الأخيرتان من السَّجْعَتين متفقة في الوزن وفي الحرف الأخير منها (فآنصب، فآرغب) وهذه من المحسنات الجمالية اللفظية عند البلاغيين في علم البديع.

وفي قوله تعالى ((فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ)) فـ (إذا) (دخلت على شرط مجزوم بوقوعه وتستعمل دائما في كتاب الله تعالى لما هو مُحّقق الوقوع، ولذا يكثر دخولها على الماضي)[3].

خاتمــة ونتائــج

تمخضت عن البحث نتائج نجملها بما هو آت:

1. جلّتْ هذه الدراسة البلاغية في سورة الشرح، الوظيفة التعبيرية والتصويرية لظواهر بلاغية متنوعة وأساسية في نسيج هذه السورة والكشف عن الدلالات التي مثلت طاقة فنية وجمالية تحتضن الأفكار والمعاني التي كان لها الأساس في صياغة الألفاظ، ففي هذه السورة الكريمة كان لاختيار اللفظ وحسن التركيب، ومن ثم اختيار أسلوب التأثير في النفوس المخاطبة فضلاً عما امتاز به من حسن ابتداء وحسن انتهاء غاية في الجمال.
2. المعاني كانت واضحة بمطابقة مقتضى الحال وأثرت في العقول وتلاها تأثير في القلوب، لاعتماد أسلوب بلاغي يفهمه الذي ينتزع من ذهنه صورة جذابة في تراكيب الألفاظ. وعن الصور المتعددة في علم البيان بأسلوب جمع

---

(1) جواهر البلاغة، 199.

(2) ينظر البلاغة الواضحة، 359.

(3) ينظر البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، 262.

الخطابة والعلمية والأدبية وما تتضمنه من كلمات جزلة وقوية فضلاً عن التكرار والتنوع وجمال في الصورة، ورِقّة في التعبير ليتحقق من ثم البراعة في الإقناع وإيقاظ المشاعر وإرهاف الإحساس، فقد خرج الاستفهام في بداية السورة عن طلب الإفهام إلى إرادة التقرير والامتنان، والإطناب المحرك للشوق تبعه إيضاح مؤكد للفكرة مثبتاً لها.

3. فن الاستهلال البارز في افتتاحية السورة الكريمة للربط بين الصور والأفكار التي عولجت، فاستهلال مُعجب يلفت النظر ويشوّق المتلقّي بشرح الصدر كبداية استهلالية تلازمت مع (فانصب) و (فارغب) وهما متعلقتان لإفادة الحصر والتخصيص بالتفرغ للعبادة والطاعة وانحصار الرغبة في التوجه إلى الله وحده، وتجريد توحيده باستمرار دون فتور أو انقطاع، فمتى قام بهذين الأصلين حصل انشراح الصدر الذي خصه الله فيه.

4. استعمال ضمير المتكلم للتعظيم، وهو ضمير الجماعة مع أن المتكلم واحدٌ أحدٌ في (نشرح)،و (وضعنا) و (رفعنا) للاشعار بأنها منن عظيمة امتنّها الله على رسوله (عليه الصلاة والسلام)، تناسب عظمة واهبها، وللإطماع بتحقيق المنن الموعود بها، بشكل مترابط ومتكامل وينعكس ذلك إيجاباً في تقبل وتحمل ما يعتري طريقه من صعوبات وعقبات كانت الاختبار والبرهان للتقبل والارتياح.

5. توضحت أساليب البيان والبديع بوصفها ظواهر بلاغية من مَجازٍ واستعارة وكناية وسَجْعٍ تكاملت في تعبيرات قرآنية لأرفع درجات البلاغة من غاية الحسن والتصوير، ولاسيما الاستعارة القرآنية باختيار كلمات منتقاة مختارة لتحقيق روعة النّظْمِ، وتحقّق التقديم والتأخير، بتقديم المعمول على عامله، جاء لإفادة التخصيص والحصر مع مراعاة الجمال ألتناسقي بين الآيات والتلاؤم في الفاصلة بين الآيات لتكون من ثم أكثر وقعاً في النفوس.

ومن الله التوفيق..

1429هـ/2008م

Surat Al-Shareh: A Rhetorical Study

Ahmed Mahmood Azzo Salih*

Asst. Prof. Dr. Abdullah F. Al-Dhahir**

Abstract

This rhetorical study of Surat Al-Shareh reveals the expressional and imaginative function of various rhetorical aspects that are basic in the structure of this sura. Meanings are clear and affect the minds and hearts together due to the use of a rhetorical style achieving creation in persuasion, wakening feelings and emotions. The sura starts with an extraordinary introduction making the reader eager for explaining the chest coinciding with the expressions “to have” and “to want”. They are interrelated to refer to specialization and dedicating time for Allah worship. Group speaker pronoun is clear while the speaker is one to indicate the many blessings given for the Prophet. Rhetorical styles, including metaphor and others integrated in Qur’anic expressions, in particular Qur’anic metaphor and coordination aesthetics among ayahs and coordination in intervals to be more affective in hearts.

---

* B.A. in Arabic/ College of Education/ University of Mosul.

** Department of Arabic/ College of Arts/ University of Mosul.